

## تحرير مفهوم الكفاءة في السياق القبلي

زيد الفصيل

(باحث في التاريخ)



@zash13

عرف علماء الاجتماع القبيلة على أنها: «مجموعة بشرية متضامنة تشعر بانتسابها إلى أصل قرابي مشترك، تجمعها ثقافة وأعراف ومصالح مشتركة، وتشكل تنظيمًا اجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا واحدًا»، وهي بهذا التعريف الواسع تكاد تكون أساسا لكثير من الأصول المجتمعية ليس في عالمنا العربي وحسب، بل وعلى امتداد المساحة الجغرافية للاستيطان البشري بوجه عام. كما أنها ووفقا لذات التعريف يمكن أن تتخذ أشكالا تنظيمية متنوعة بحسب السياق المكاني الذي تكون فيه، وبالتالي فإن الكفاءة لا تزال تحافظ على شكلها التقليدي في منظومتها الاجتماعية العربية، فهي قد تبلورت ضمن سياق آخر في بعض المجتمعات الحديثة، وليست قبائل المافيا الممتدة عالميا، ومجموعات الضغط القومية، كاللوبي الصهيوني مثلا، بعيدة عن نسق وسياق التعريف السابق شكلا ومضمونا. إذا فالقبيلة من حيث نسقها وتكوينها ووظيفتها ليست محصورة في سياق مجتمعنا الحياتي وحسب، بل هي قانون مجتمعي إنساني، وهي قانون غريزي أيضا وتتجلى مظاهره في مجتمع الحيوان كذلك، فلكل قطع قانونه وقائده. وهو نظام منع لعالم الجن والملائكة الذين خرج من لوائهم إبليس بتكبره وسوء أدبه مع الله، فكان أن حذر الله منه ومن قبيلته في قوله تعالى إيا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبوكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون}.

ما يدعوني إلى التقديم بما سبق راجع إلى اللفظ الذي أثير مؤخرا جراء حديث الدكتور سعد الصويان مع الإعلامي عبدالله المديفر، ودعوته

إلى إنهاء جانب من منظومة القيم الاجتماعية الضابطة للعلاقات بين أبناء القبيلة وبخاصة في مسائل الكفاءة وما يتعلق بها، ورؤيته بأنه قد آن الأوان لأن توجه الدولة إلى تزويج ما يسمى مجتمعيا بـ«الخصيري»، من ائنة قبيلية واضحة الانتماء والنسب، وحمئا فالأمر وفقا لذلك لن يتوقف على فئة «الخصيري»، بل سيتعدى ليصل إلى فئة «الصلب» الذين توجه المديفر بالسؤال عنهم في أساس الحلقة.

ومع إيماني بأن الناس عند الله كأسنان المشط، وإن أكرمهم أنقاهم يوم لا ظل إلا ظله، وفي الحياة الدنيا كذلك، لكني أؤمن أيضا بأن الأمر لم يكن مثاليا في يوم من الأيام، حتى في مجتمع النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، فأم المؤمنين زينب بنت جحش قد استنكتت من زواجها من زيد بن حارثة لكونه كان مولى من موالى النبي وهي سيدة من سيدات مكة، وبالرغم من ذلك فقد تزوجته، ثم لم تحب أن تكمل معه، ومع ذلك لم يؤاخذها النبي أو يرفض ما عن في خاطرها من خاطر، بل جاء الأمر الإلهي بأن يتزوجها هو بعد طلاقها من زيد لحكمة فقهية أرادها الشارع جل وعلا حتى يؤكد إبطال مفهوم التبني وما يترتب عليه من أحكام، وكان زيد بن حارثة يسمى زيد بن محمد لتبني النبي -عليه الصلاة والسلام- إياه، ثم جرى إعادة تسميته بأبيه بعد ذلك وصار يسمى يزيد بن حارثة.

على أن الأمر لم يتوقف عند ذلك بل جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «تخبروا لنطفكم فإن العرق دساس»، وفي ذلك إقرار واضح بالتباين النسبي وأثره في موضوع بناء الأسرة، وتكوين العلاقات القربانية ضمن إطار المجتمع، وهو ما أسس لمفهوم اعتبار الكفاءة النسبية حال

الزواج في مدونة الفقه عند جميع المسلمين، مع اختلاف تشددهم في ذلك بين إمام وآخر. وفي تصوري فالكفاءة النسبية لم تعد اليوم هي المعيار الرئيس لقياس مدى التوافق بين الزوجين، إذ ومع توسع الحياة المجتمعية جراء زيادة مساحات المدن، وتغير وظيفتها التقليدية، بحيث أصبحت المدينة موثلا لكل الناس، ومقرا لحياتهم، ثم مع حالة الانتفاح المعيشي بها، وتقلص وظيفتها الأسرة الممتدة ودور العاقلة الاجتماعي إلا في الملمات الكبرى، فقد أدى ذلك إلى انصهار الأسرة النووية الصغيرة في ثانيا مجتمع فيسياسي متنوع، وتكون داخل أفرادها وعي ثقافي مدني غير منضبط بمعيار القبيلة وهويتها، وبات ذلك الوعي معيارا رئيسا في بناء علاقاتها الإنسانية أولا وحمئا القربانية كذلك، وهو ما يفرض معيار الكفاءة الثقافية على الذهن القبلي، ويدعو الفقيه المعاصر للاجتهاد وتحرير المسألة من جديد وفقا لمعطياتها المتجددة أيضا، وترك الأمر للتوافق المجتمعي دون تدخل من أحد.

**ختاما** فلا يزال للقبيلة دورها الفاعل ضمن منظومتنا العربية وبخاصة في شبه الجزيرة العربية وبلاد الهلال الخصيب، وكانت ولم تزال يقيمها وأعرافها الأصيلة أمانا لكثير من المجتمعات في المنطقة، وهي بنظائرها القرابي سند لكل أحد، وعون لكل حاكم، ولست مع تقويض مؤسستها بل مع تهذيب سلوك أفرادها، ودمجهم في منظومة المجتمع المعاصر بقيمهم ومروءاتهم العربية الأصيلة، لتتمكن القبيلة من الانخراط في سياق المجتمع المدني وفق مفهوم وسياق وظيفي متجدد أسوة بما كانت عليه في سياقها البدوي أو الفلاحي القديم.

صاحب القصر: لا تستغربوا أيها الرفاق إنها بركات دعاء الوالدين! رضا الوالدين وبركة دعائهما كانا وما زالا من أهم الأسباب التي تبرر وتسوق بها تلك الملاعة المالية التي تنزل فجأة على بعض عباد الله، ممن امتهن التريح من وظيفته التي لا يتجاوز دخله منها، مهما ارتفع ثمن منزل صغير قد يستغرق بناؤه بضع سنين.

اليوم وفي عهد الحزم والعزم، عهد سلمان بن عبدالعزيز وولي عهده الأمين، أصبحت الحرب على الفساد توجهها عاما، وصار سؤال من أين لك هذا مألوفا عند القاضي المدني، وهو ما جعل هذا السؤال وإجاباته، هاجسا يؤرق المفسدين ويجعل فرائصهم ترتعد مع كل بارقة خبر باستعادة مال عام نهبه أحد رفاقهم.

**إن العدالة الاجتماعية** لتقتضي حماية المال العام، هذا المال الذي لا ننكر أن بعض ضعاف النفوس مثل رضي الوالدين هذا، قد استفادوا منه وأفسادوا بعض القابعيين في قاع وائرهم الصغرى منه، ممن تم اصطفاؤهم لبينالوا شرف الصحة وخيرها وخيريتها.

إن صور الفساد من ضعاف النفوس كثيرة ومتعددة ولا تقتصر على سرقة المال العام مباشرة، فبعض هؤلاء قد يستخدم كثيرا من التسهيلات في إدارته، كشركات الصيانة في إصلاح منزله وترميمه، وقد يصل التجاوز ببعضهم أن يكلف مسؤول النقل في مرفقه بإرسال أحد السائقين الرسميين ليوصل له بعض حاجياته إلى بيته كالدواء أو بعض المستلزمات الأخرى، التي تقتضيها حياته اليومية، ويرى في ذلك شيئا من حقوقه التي تتيح له الوظيفة العامة!

ومع ذلك تظل نسب هؤلاء في مجتمعاتنا الوظيفية محدودة ويظل المجتمع الوظيفي في سواده الأعظم مثلا للإخلاص والأمانة، وصور النشاط هذه حمئا سيقطعها الحزم أولا ووعي المجتمع ثانيا، وسيصبح رموز هذا الفعل الشنيع في منزلة تجارينا الخاطئة التي تتلجج مع الزمن إلى حالة من المثالية والصلح مع تعدد حالات التشهير والقبض على هؤلاء المفسدين.

أما رضي الوالدين هذا ومن على شاكلته، فهزم إلى مزايل التاريخ أقرب وبالصحف السوداء أجرد وأمثل، وما سرقوه من مال سوف يكون وبلا عليهم، وسيكون للشرفاء الكلمة الفصل في فضحهم وتعريتهم وكشف مستورهم الذي يخفونه عن الناس لكن الله يعلمه، ولنذكر ونذكر أن كسب الفاسدين حرام، ومآلهم حساب شديد يوم العرض والحساب.

المحيا، يتحدث الإنجليزية بطلاقة، وتمكننا بجدارة مما يتحدث عنه من علوم، وكان لطيفا لبقا، مفوها وسريع البديهة، ويجب على كل أسئلتهم، ولما اشتد الخلاف بينهم أقبولونه على تفوقه وهوانهم أم يدسونه في التراب، سُمع صوت خافت يقول: اقبلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا، فلم يقبلوه.

**هؤلاء لا تفتن لهم القبيلة** أو روابط النسب شيئا إذا ما انخرطوا في تشكيلات من الفساد الإداري، وامتلات جيوبهم وأرصدتهم البنكية بمخصصات اللجان الدائمة والأبحاث التطويرية، ذلك أن الفساد المبطن بكل مصلحة خاصة، والمغلغل ظاهره بحسب الخير للناس وتقديم المساعدة لهم، هو أسمى عندهم من الأعراف الأكاديمية وأخلاق القبيلة الحميدة. صدقوني إن القبيلة والوطنية بريئتان منهم، ولا دخل لهما بما يفعلونه من أفعال لا تخدم إلا مصالحهم الشخصية.

في اعتقائي أن قبيلة العقلاء باقية ما بقيت الأخلاق واستقامت تعاملات الناس وتآطرت بتعاليم الدين السمحة، وكانت الدولة العصرية حاضرة بأنظمتها القوية وأجهزتها الرقابية، وأن دور القبيلة الإيجابي باق ومؤثر في تعزيز اللحمة الوطنية، وإن كنت أجد لعالم الأنثروبولوجيا المجلد مبرراته الوطنية ودوافعه النبيلة، ولولا أن الشيطان كائن ذكي (كصفة إنسية) نقلت إن تحالف ما فوق القبيلة تحالف شيطاني، إلا أنه مرض خبيث يجب اجتثاثه، وتظهر المجتمعات الأكاديمية منه.

## بركات دعاء الوالدين

علي المطوع



@alaseery2

يتداول البعض قصة ظريفة، عميقة في معناها وإن كان في سندها ضعف وربما انقطاع، تقول القصة إن أحدهم دعا مجموعة من أصحابه إلى وليمة في منزله الجديد، كان المنزل بمقاييس الفخامة وأبهى تحفة معمارية خالصة، اندهش المدعوون من جودة الزخارف والأعمدة والقياب والأشكال الهندسية الأخرى ذات الطابع الأندلسي الغريب على صاحب البيت ونوقه وذائقته، وتناسقها العجيب والغريب الذي يأخذ خيالا وواقعا إلى قصر الحمراء ونكره ونكرياته.

أخذ صاحب المكان الخلص من رفاقه في جولة على بعض مرافق منزله الجديد وكان سعيدا بردات فلعلمهم وقد ارتسمت على وجوههم علامات الإعجاب والدهشة وربما شيء من الإحباط مما أراه من عمل معماري ضخم وجودة تتخطى حدود ما ألفوه وعرفوه كموظفين بمداحيل وظيفية كبيرة!

وفي معرض إجابات صاحب المنزل على أسئلة ضيوفه، حلف بالطلاق وأغلظ الإيمان أن تكلفة بناء هذا القصر وتأثيته قد تجاوزت الثمانية ملايين ريال، هنا اندهش الجميع ولاح على وجوههم مباشرة السؤال المعهود، من أين لك يا صاحبنا هذا، خاصة وأنهم يعرفون البئر وغطاءها وماءها ونبعها؟ وببراعة شديدة وخفة أسرع قال

هواجس منطقية من أجل الحماية والدفاع لم تعد اليوم ذات أهمية في ظل وجود الدولة العصرية، وإنما المفهوم الذي نقصده هو مفهوم تحالف ما فوق القبيلة، وهو الحزب وبناء كتلات أو (شئل) لا يربطها ببعضها إلا روابط المصلحة الخاصة، والاستئناس بأموال ومصالح العامة، والمشكلة هنا تبدو مركبة ومعقدة، والقضاء عليها يحتاج مجهودا ووقتا ومنهجية محددة.

سأعطيك مثلا بسيطا لما أود قوله عن مفهوم تحالف ما فوق القبيلة، وهو مثال مضحك ومحزن في الوقت نفسه: لنفرض أن رئيس الجامعة (أ) رشح بطريقة ما أحد أفراد تحالفه (ب) لرئاسة جامعة أخرى، فلما أصبح (ب) رئيسا للجامعة الأخرى عين ابن الرئيس (أ) عميدا عنده لإحدى الكليات، وبعد مدة من الزمن، ولما شارفت مدة تعيين (ب) على الانتهاء عاد وعين ابن الرئيس إياه عميدا لكلية أخرى، ليصبح ابن الرئيس (الكتكوت) عميدا لكليتين في وقت واحد، وهذه لعبة غبية، وحركة مكشوفة، الغرض منها كسب رضا وتأييد (أ) الساعي لإعادة تعيين (ب) واستمراره في منصبه، والجانب المحزن في هذه الفرضية أن العملية الإدارية في الجامعتين آسف وباء تهريج! يقال إنه في إحدى الجامعات جاءهم شباب من خريجي برنامج خدام الحرمين الشريفين للابتعاث، متقدما على وظيفة أستاذ مساعد، فشكوا لجنة لدراسة طلبه والنظر في وضعه، وبعد أخذ ورد طلبوا منه تقديم ندوة علمية كي يتسنى لهم الحكم عليه، المتقدم كان شابا طلق

محليا، لا زالت قيمة الأرض تستهلك نسبة كبيرة من إجمالي تكلفة المسكن ولا سيما في المدن الكبرى الرياض، وجدة، والدمام. وعلى الرغم من التباين في أسعار الأراضي في المدينة الواحدة بناء على الأهمية المكانية، والقرب من الخدمات، ومستويات الوصولية، إلا أن متوسط قيمة الأرض التي تقع ضمن حدود المساحة المعقولة لأسرة مكونة من 5-6 أشخاص لا زالت تفوق القدرة الاقتصادية.

لقد أشرت في بحث تم إعداده قبل حوالي عشر سنوات أن متوسط قيمة الأرض الصغيرة بمساحة 350 م<sup>2</sup> تبلغ 332,062 ريالا في مدينة الرياض، لاحظ أننا نتحدث عن المتوسط العام لسعر الأرض التي تتلام مع احتياجات متوسطي الدخل. في تلك الفترة، شكلت قيمة الأرض ما يعادل 41% من إجمالي تكلفة المسكن، أي في حال توفر الأرض فسوف نحتاج إلى مبلغ لا يقل عن 477,845 ريالا لاستكمال الحد الأدنى لبناء مسكن على تلك الأرض ولتلامس قيمة المسكن الصغير حدود المليون ريال، هذا قبل عشر سنوات، أما اليوم، عليك ضرب هذا الرقم ربما بثلاثة أو أربعة، وبالتالي يمكن أن تشكل قيمة الأرض السكنية وحدها ما يعادل 70% من تكلفة المسكن.

تاريخيا، أسهم صندوق التنمية العقارية منذ إنشائه في تقديم قروض التمويل والدعم السكني للمواطنين، ومن الملاحظ ارتفاع حجم الإعانة التي قدمت للمستفيدين من 200,000 ريال حتى 500,000 تماشيا مع ارتفاع أسعار الأراضي، وهو ما يؤكد أن الأرض تلعب دورا رئيسا في تعزيز القدرة على تحمل تكاليف الإسكان، ومن المثير للدهشة، أن الارتفاع الملحوظ لأسعار الأراضي في المدن يأتي في ظل توفر الأراضي الشاغرة داخل النطاق العمراني للمدن الكبرى إذ تصل نسبة الأراضي الشاغرة في بعض المدن إلى أكثر من 50% من المساحة الإجمالية للمدينة؛ إلا أنه لا تزال هذه الأراضي خارج القدرة على تحمل تكاليف العديد من الأسر ذات الدخل المنخفض والمتوسط.

**اليوم** يمكن أن تستهلك قيمة الأرض السكنية كامل قيمة الدعم السكني أو تزيد، وهو ما يعني ببساطة أن تطوير سياسات لتخفيض قيمة الأرض سوف يسهم في نهاية المطاف بتخفيض تكاليف الإسكان؛ بل وتخفيض حجم الإعانة المقدمة للمستفيدين أو حتى إلغاءها، إن تطوير مثل هذه السياسات يمكن أن يخلق من خلال إيجاد آلية ملزمة لبناء الأراضي الفضاء المملوكة خلال مدة زمنية محددة ومنع احتكارها لفترات زمنية طويلة؛ وبالتالي إعادة ضخ المعروض من الأراضي المتاحة وخفض الأسعار وصولا لسوق إسكان عادل ومتوازن.

في الأيام الماضية أثير جدل واسع بعد حديث عالم الأنثروبولوجيا سعد الصويان عن اضمحلال دور القبيلة وتلاشيها وانحساره عما كان عليه في السابق، فهو يرى أنه من المفيد لتعزيز المواطنة تبني برنامج للتزواج بين مختلف مكونات المجتمع، سواء الأبنية أو العرقية، والهدف من ذلك القضاء على دور القبيلة، وصهر طوائف المجتمع وأعرافه في عائلة واحدة، وهذا الرأي وإن بدا غريبا ومستحيلا أو مرفوضا ومستعبدا -على الأقل في الوقت الحاضر- إلا أن بواعثه حسنة، ودوافعه وجيهة، ولو تحققت هذه الأفكار أو شيء منها لربما نجحنا في القضاء على مظاهر الفساد خاصة تلك الناشئة بسبب الحزب لعرق أو الانتصار لعادة.

حضور مفهوم القبيلة في المشهد الأكاديمي ربما يكون أسوأ منه في المشاهد الحياتية العامة، وهذه الحالة وإن بدت شاذة في العرف الأكاديمي إلا أنها ليست طارئة أو مستحدثة، بل هي واحدة من تناقضات المجتمع الأكاديمي الحالي، فعلى سبيل المثال: في قضايا توظيف الأقراب بعض الإدارات الأكاديمية تنادي بالمساواة والعدل، وتتمنع المثالية، ولكنها تقع في أبشع صور الفساد الممكنة في هذا المجال، ودون إحساس بالذنوب أو شعور بمخالفة النظام. المفهوم الذي نخصه بالحديث هنا أكبر من مفهوم القبيلة المعتاد والمحصور في مجموعة من الناس تنتسب لأصل واحد، لماذا؟ لأن دواعي طلب المعيشة والاستقرار أو بناء تحالفات كانت تمثل

## أسعار الأراضي والغلاء الفاحش!

وليد الزامل

(متخصص في التخطيط العمراني)



@waleed\_zm

يعد السكن أحد أهم الاحتياجات البشرية التي تؤثر بشكل كبير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية؛ بل إن الحاجة إلى السكن تأتي كأولوية بشرية قصوى بعد الماء والغذاء والصحة. ومع ذلك، يظل الإسكان الميسور التحدي الرئيس الذي يواجه صانعي سياسات الإسكان في المدن، ويتفاقم هذا التحدي نتيجة لعدم وجود سياسات إسكان فعالة، وضعف برامج دعم الإسكان، والتضخم، وطبيعة أنماط استخدام الأراضي، والأزمات المالية الدولية، والنمو السكاني، والتفاوتات في مستويات دخل الأسر.

لقد واجهت الدول النامية تحديات كبرى في قطاع الإسكان وجاءت معظم برامج الدعم السكني كردة فعل لانتشار مناطق الإسكان العشوائي، والفقر، وغلاء المعيشة. فشلت معظم هذه البرامج في تحقيق مبدأ القدرة على تحمل التكاليف بسبب الافتقار إلى مصادر التمويل الكافية، والإجراءات البيروقراطية، وضعف المشاركة المجتمعية، ونقص مشاركة القطاع الخاص -أو عدم رغبته بالمشاركة أصلا- وصعوبة تغطية تكاليف مشاريع الإسكان الحكومي؛ لذلك ركزت معظم هذه البرامج على توفير الإعانات أو قروض الدعم المباشر للمستفيدين، نظرا لصعوبة استيعاب واقع السوق السكني، ومستويات العرض والطلب في المدن، وتباين أسعار الأراضي.

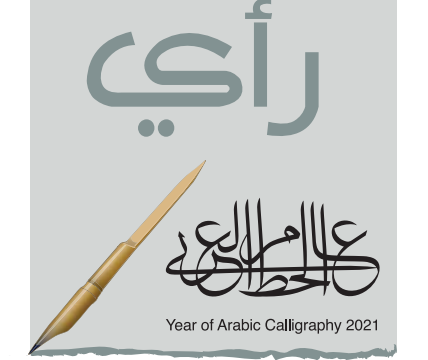
## تحالف ما فوق القبيلة في المشهد الأكاديمي!

بندر الزهراني



@drbmaz

حضور مفهوم القبيلة في المشهد الأكاديمي ربما يكون أسوأ منه في المشاهد الحياتية العامة، وهذه الحالة وإن بدت شاذة في العرف الأكاديمي إلا أنها ليست طارئة أو مستحدثة، بل هي واحدة من تناقضات المجتمع الأكاديمي الحالي، فعلى سبيل المثال: في قضايا توظيف الأقراب بعض الإدارات الأكاديمية تنادي بالمساواة والعدل، وتتمنع المثالية، ولكنها تقع في أبشع صور الفساد الممكنة في هذا المجال، ودون إحساس بالذنوب أو شعور بمخالفة النظام. المفهوم الذي نخصه بالحديث هنا أكبر من مفهوم القبيلة المعتاد والمحصور في مجموعة من الناس تنتسب لأصل واحد، لماذا؟ لأن دواعي طلب المعيشة والاستقرار أو بناء تحالفات كانت تمثل



مؤسسة مكة للطباعة والإعلام

# مكة

المكreme • Makkah AlMukarramah

رئيس مجلس الإدارة  
**عبد العزيز بن محمد عبده يمانى**

المدير العام المكلف  
ورئيس التحرير  
**موفق بن سعد النويصر**  
alnowaisir.m@makkahnp.com

مدير مركز المحتوى الإبداعي  
**علي حسين بن مطير**  
muter.a@makkahnp.com

المركز الرئيسي: مكة المكرمة

هاتف: 0125201733 ص.ب 5803  
فاكس: 0125203055 الرمز البريدي 21955

فاكس الإعلانات: 0125201423  
فاكس الاشتراكات: 0125200734  
الاشتراكات: 0504720131

makkah@makkahnp.com

الرياض

جوال: 0500675899 ص.ب 25162  
فاكس: 0114066991 الرمز البريدي 11466  
فاكس الإعلانات والاشتراكات: 0114066991

gov@makkahnp.com

جدة

هاتف: 0126570402 ص.ب 51787  
فاكس: 0122345938 الرمز البريدي 21553

gov@makkahnp.com

المدينة المنورة

جوال: 050651196  
gov@makkahnp.com

الدمام

جوال: 0504178354  
gov@makkahnp.com

رقم الإيداع: 1762/1435  
رصد: 1658-6646